الوفاء في شعر العباس بن الأحنف
من وجهة نظر مثالية

الباحثة/ وفاء بنت حسين بن سعيد القحطاني
المحاضرة في قسم اللغة العربية
كلية التربية للبنات بالمزاحمية- جامعة شقراء

الملخص:

تكشف هذه الدراسةُ عن ظاهرة من ظواهر النزعة المثالية في شعر العباس بن الأحنف، ويُقصد بوجهة النظر المثالية هنا إظهارُ ملامح خُلُق الوفاء -الذي تبين من خلال الدراسة ظهوره بوضوح في شعر العباس- وفق ما تقرّر عند أعلام المثالية والمتأثرين بها من فلاسفة وأدباء ونقاد، متّبعَين في ذلك المنهج الوصفي الذي يقوم بتتبّع مواطن الظاهرة وتصنيفها ووصفها وتحليلها واستخلاص النتائج منها.

واقتضت طبيعة البحث تصنيف مادته وفق تمثلات الوفاء الكثيرة في شعر العباس، وقد تبيّن أنّه -أي خُلُق الوفاء- لم يأت لغاية تعليمية، بل هو مكوِّنٌ من المكوّنات الجمالية للفن الشعري عند العباس، وهذا ما عليه أكثر الفلاسفة المثاليين، ويُستثنى منهم كروتشه ومن تابعه.

الكلمات الدلالية للبحث: المثالية، الوفاء، شعر، العباس، الأحنف

مدخل:

تعدّ المثالية في معناها المجرّد منزعًا إنسانيًا يكاد يكون جليَّ الملامح للأذهان، بما تحمله من ترفّع عن الدنايا، وتمثّلٍ للقيم العُليا، والتزامٍ بالمبادئ والقيم الخلقية الرفيعة، واحتفالٍ بعالم الروح النورانيّ البهيّ، وتجافٍ عن الرغبات الجسدية.

أمّا المثالية التي تريدها هذه الدراسة، وتتلمّس مظاهرها في المدوّنة الشعريّة المختارة، فهي مثالية تستمدّ أصولها من المعنى اللغوي والعُرفي للمثالية من جهة، ومن جهة أخرى تستند إلى الإرث الفلسفيّ الكبير منذ زمن المثاليّ الأول الفيلسوف الإغريقي المشهور أفلاطون (ت ٣٤٧ ق.م) حتى العصر الحديث، وهو إرثٌ جعل للمثالية مدارس متعددة يوافق بعضها بعضًا في جوانب، ويختلف في أخرى، بل قد يعارض بعضها بعضًا فيقوم اللاحق على هدم السابق.

وما من ريب في أنّ للمثالية –كغيرها من المدارس الفلسفية– تجلياتٍ ظاهرة في الفن بعامة، وفي الشعر بخاصة، على مدى العصور، وهي تجلّياتٌ تتمثّلُ في الشكل كما تتبدّى في المضمون، بغض النظر عن القصديّة فيها؛ كون المثالية تستقي كثيرًا من أصولها من المفاهيم الإنسانية في الجملة.

وصُوَرُ المثالية في شعر العباس تتشكّل في المظهر الانفعاليّ الذي قوامه العاطفة والميول النفسية بعامّة، وفي المظهر الأخلاقي بما يتفق مع النظريّة المثالية التي تُعلي من شأن الفضيلة والخُلُق، وفي المظهر الفنّيّ الشكليّ من التزامِ مَسْلَكِ الأقدمين في البناء الفنّي، والاحتفالِ بالخيال بما فيه من عناصر متصلة بالصورة الشعرية من تشبيه واستعارة ونحو ذلك، وكذلك اختيار الألفاظ والتراكيب بما يُسهم في صناعة المعنى المقصود بفاعليّة، ثم انتقاء الموسيقا الداخلية والخارجية بما يؤدي حركة فاعلةً في المعنى، ويركّز هذا البحث على نزعةٍ خلقيةٍ ذات بُعدٍ مثالي هي نزعة الوفاء؛ باعتبارها من أظهر تمثلات المثالية الخلقية في شعر العبّاس.

تمثّلات نزعة الوفاء في شعر العباس:

لا يختلف اثنان حول سموّ خلق الوفاء، وهو من الأخلاق العزيزة التي يقلّ اتصاف الناس بها، لما يترتب عليه من حمل الإنسان نفسه على الحفاظ على العهد متصلا مهما كانت الصوارف، فضلا عن تمحّضه الإخلاص للآخر ورعاية حقه وحفظ ودّه وإن امتدّ الزمان وتباعدت الديار.

وفي باب الفلسفة يُعنى الفلاسفةُ، ومنهم الفلاسفة المثاليون، بفضيلة الوفاء، باعتبارها من الفضائل الخُلُقية التي تقوم الفلسفة على تمكينها في النفوس لتسمو بها، ففي محاورة (المأدبة) لأفلاطون يجعل فايدروس (أحد حضور مجلس سقراط (ت ٣٩٩ ق.م) في محاورة المأدبة) من مِنَحِ الحب ذلك الوفاء الذي يزرعه بين المحبين، وما يقدمه الـمُحبُّ من تضحيةٍ بحياته فداءً لمحبوبه، ويضرب لذلك مثلا بألكسيتس ابنة بيلياس[١] التي قدمت حياتها فداءً لزوجها، في حين لم يقدم على ذلك أحد سواها![٢] ويرى أفلاطون أن الحب إنما يكون نبيلا إذا استمر مدى الحياة على أن يكون حبًا واحدًا ثابتًا ومتينًا.[٣]

أمّا عند المثاليين المحدثين فإنّ هيغل رأسَ المثالية الحديثة (ت ١٨٣١م) يُدخل (الوفاءَ) في دائرة أخلاق الفروسية، وهو عنده عاطفةٌ تربط (التابع) بـــــ (السيّد)، غير أنه لا يفقد استقلاله الخاص في ظل هذا النوع من العاطفة التي يعدّها (قيمة متحوّلة) وليست (ثابتة)؛ كونها تتبدّل وفق مقتضيات المواقف، وقد يحمل الموقفُ الإنسانَ على أن يقف بين (وفائه) من جهة، وموقف الشرف أو عاطفة الحب أو نحوهما من جهة أخرى، ويضرب لذلك مثلا بالفارس الوفيّ الذي يكون وفيًا لملكه متى كان عادلا، ويلزمه ترك وفائه متى طغى هذا الملك وظلم، وهذا ما يعنيه بقوله (استقلال الفرد).[٤]

وفي التراث العربي والإسلامي ما يبيّن أن العناية العربية بالوفاء أصيلة وثابتة، ومن ذلك ما جاء عند ابن داود صاحب الزهرة، حيث عرض لذكر (الوفاء) في ثلاثة أبواب من مصنّفه، فتارة يأتيه من جهة هوان كل صعبٍ على المحب إذا ما وفى

---

(١) ألكسيتس في الأساطير اليونانية أميرةٌ عاقلة، وهي ابنة الملك بيلياس ملك مقاطعة ثيساليا، وقد اشتهرت بحبها ووفائها لزوجها الملك أدميتوس الذي حكمت عليه الآلهة بالموت، ثم وهبته –لظهور بعض فضائله من كرم وعدالة– حقّ التحرر من هذا الحكم، على شرط أن يُحضر بديلا له يُسلمه للموت إذا ما جاء يطلبه، وقد عرض الأمر على والديه وكل من يعرفه فلم يستجب لذلك سوى زوجته ألكسيتس التي فضلت الموت دونه، وقد نغّص موقفها الوفيّ عيش زوجها بعدها، وكاد الحزن أن يقضي عليه، قبل أن تتدخل الآلهة وتعيد زوجته إلى الحياة تقديرًا لموقفها الجليل ولفضائل زوجها.

(٢) انظر: أفلاطون، المحاورات الكاملة، ٤/١١٠-١١١.

(٣) انظر: نفسه، ٤/١١٢.

(٤) انظر: بسطاويسي، جماليات الفنون وفلسفة تاريخ الفن عند هيغل، ص ٩٣-٩٤.

الحبيب، وتارة يعرض له من جهة نقيضه أي الغدر والخيانة، وأخيرة يعرض له بتفصيل أكثر، فيذكر حدّه وشروطه وفضل الوفاء للطرف الآخر بعد وفاته بما يفوق فضله على الوفاء له في حياته.(١)

أمّا ابن حزم في (طوق الحمامة) فله حديثٌ عن أبواب الفضيلة في الحب، ومنها الوفاء الذي يرفع ذكره(٢)، ويشنع على نقيضه الغدر والخيانة.(٣)

ويقول في (الأخلاق والسير): "الوفاء مُركّب من العدل، والجود، والنجدة؛ لأنَّ الوفي رأى من الجور ألّا يقارض من وثق به، أو من أحسن إليه؛ فعدل في ذلك، ورأى أن يسمح بعاجل يقتضيه له عدم الوفاء من الحظ؛ فجاد في ذلك، ورأى أن يتجلَّد لما يتوقَّع من عاقبة الوفاء؛ فشجع في ذلك".(٤)

وقد ظهرت هذه الفضيلة كثيرًا في أشعار العرب وأخبارها في باب الحب وغيره، وهي في باب الحب أشد توكيدًا، فإنّ انتفاء الوفاء مُؤذِنٌ بانتفاء الحب نفسه، كما أنّ تقديم مواثيق العهود للمحبوب يقتضي الوفاء بها وإلا كان غدرًا وخيانة.

ومن هذا الباب قول عنترة يفخر بوفائه لعبلة:

ولـــئن ســـألْتَ بِـــذاكَ عبلـــةَ خَبَّـــرَتْ ألّـــا أريـــدُ مـــن النِّـــسَاءِ سِـــواها

وأُجِيبُهـــا إمّـــا دَعَـــتْ لِعَظِيمَـــةٍ وأُعِينُهـــا وأكُـــفُّ عَمَّـــا سَـــاها(٥)

وعنترة في هذين البيتين يعرّف وفاءه لعبلة في خلوص الحب لها وحدها دون سواها، ويلبي نداءها في الشدائد، ولا يأتي ما يسوؤها، وهذا غاية في الوفاء للمحبوب.

ومن دلائل تعظيم العرب لخُلق الوفاء علوُّ شأنِ الشاعر الجاهلي السموأل بن عادياء بسبب خبر وفائه بأدرع امرئ القيس، وفقده لولده في سبيل ذلك الوفاء، حتى لقد ضُرب به المثل في الوفاء، كما ضُرب المثل في الكرم بحاتم الطائي، فقيل: أوفى من السموأل.(٦)

---

(١) انظر: ابن داود، الزهرة، ص ٤٧٢.

(٢) انظر: ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٥١ وما بعدها.

(٣) انظر: نفسه، ص ١٥٩ وما بعدها.

(٤) ابن حزم، الأخلاق والسير، ص ٦٠.

(٥) ابن شداد، ديوان، ص ٣٠٨.

(٦) انظر: الميداني، مجمع الأمثال، ٣٧٤/٢.

وهو قيمة أعلاها الإسلام وزادها شرفاً، ونصّ القرآن كما نصّت السنة على الوفاء بالعهد، فقال تعالى في سمات المؤمنين: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ (البقرة- ١٧٧)، ومن وفائه صلى الله عليه وسلم في هذا الباب أنه ظل حافظًا لذكر زوجه أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وكان يتعاهد حتى صويحباتها إذا ذبح شاة أو أُتِيَ إليه بشيء، فكان إذا أتاه شيءٌ يقول: "اذهبوا به إلى فلانة؛ فإنها كانت صديقة خديجة، اذهبوا به إلى بيت فلانة؛ فإنها كانت تحب خديجة".(١)

وقد ذكرت د.ليلى الحسن(٢) أن مبادئ شريعة الحب عند العباس بن الأحنف تقوم على مبادئ الخضوع، والكتمان، والوفاء، وها هنا بعض صور الوفاء الذي كان سِمةً لشعر العباس:

١- النصّ على وفائه -في العموم- وبقائه على عهد الحب ما امتدت به الحياة:

لقد سار العباسُ في وفائه في الحب على خُطا العذريين، فاقتصر مثلهم على حبيبة واحدة لم يتحوّل عنها حتى انتهى به الأجل، وهو ينصّ على هذه السمة لحبه، فيقول:

فَنَعِيشَ -مَا عِشْنا- على مَحْضِ المَوَدَّةِ والصَّفاءِ
حَتَّى إذا مِتْنا جَميـ ـعًا، والأمورُ إلى فَنَاءِ
مَاتَ الهَوَى مِنْ بَعْدِنَا أوْ عَاشَ فِي أَهْلِ الوَفَاءِ(٣)

فكأنّه حين يقضي بأن الهوى بعدهما لن يكون له مآلٌ سوى اللحاق بهم أو العيش في مَنْ سِمَتُهُم الوفاء، لكأنّه بهذا يجعل الوفاء خصيصة لحُبِّهما، فحيث كان الوفاء أمْكَنَ هذا الجنس من الهوى الصادق الصافي أن يكون، وإن انتفى الوفاءُ فلا مكان له!

وهذا يبدو نَصًّا على صبغة الوفاء التي ينماز به الحب الذي يجمعهما، ولذلك جعل هذا الحبَّ في موضع مقارنة مع حُبِّ غيرهما، فيقول:

أَرَى المُحِبِّينَ لا تَبْقَى عُهُودُهُمُ وعَهْدُنا وهَوَانَا دَائِمٌ بَاقِ(٤)

---

(١) البخاري، الأدب المفرد، ص ٩٠.

(٢) انظر: سعد الدين، العباس بن الأحنف: دراسة مقارنة، ص ١١٨ وما بعدها.

(٣) ابن الأحنف، ديوان، ص ٥.

(٤) ابن الأحنف، ديوان، ص ١٩٢.

ودوام العهد هنا دوامٌ لا يعرف الانقطاع بامتداد الحياة، وهذا –في سياق المقارنة التي ترد في غير موضع في ديوانه– قليلُ الوجود:

أدُومُ بِعَهْـدِي مَـا حَيِيـتُ وَقَـلَّ مَـنْ يَـدُومُ عَلَـى عَهْـدٍ ولا يَتَغَيَّـرُ[١]

كما أنّ هذا الحب في دوامه يتزايد دون أن يتسلل إليه شيءٌ مِنَ الملل، وهذا إنّما يلحق بباب الوفاء لما يتضمّنه من توكيد معنى الاستمرار دونما انقطاع، فالتزايد دونما ملل أدعى للقول بتمكّن هذا الحب تمكُّنًا مُفْضِيًا إلى دوامه:

- **إنِّـي لَـأَزْدادُ –مَـا بَقِيـتُ– لَهَـا حُبًّـا إذا ازْدادَ عَهْـدُها قِـدَمَا**[٢]
- **ونَازِحِ الـدَّارِ أفْنَـى الـشَّوْقُ عَبْرَتَـهُ أمْـسَى يَحُـلُّ بِـلادًا غَيْرُهـا الـوَطَنُ**

يَـزْدَادُ شَـوْقًا إذا دَارٌ بِـهِ نَزَحَـتْ فَمَـا يُغَيِّـرُهُ عَـنْ عَهْـدِهِ الـزَّمَنُ[٣]

وقد يأتي النصّ على الوفاء باستعمال لفظة (لا يزول)، وهذا واردٌ في أكثر من موضع في الديوان، منها:

- **خُذِي بـالعَفْوِ يَـا أمَلِـي وَعُـودِي عَلَـى مَـنْ لا يَحُـولُ ولا يَـزُولُ**[٤]
- **لِـأنَّ هَـوَاكِ فـي صَـدْرِي مُقِـيمٌ أظُـنُّ هَـوَاكِ أقْـسَمَ لا يَـزُولُ**[٥]

ومن صور النص على الوفاء: نفيُ النسيان، وهو من أكثرها تكرارًا في شعره، ومن قوله:

- **واللهِ مَـا أنـساكِ مَـا جَـرَتِ الرِّكَـابُ مَـعَ الرِّكَـابِ**

إنَّ المَنِيَّـةَ رَاوَحَتْنِـي يَـوْمَ رُحْـتِ مَـعَ الغِيَـابِ[٦]

- **إنَّ الغُـلامَ الـذي أعْطَـاكِ خَاتَمَـهُ فِي سِـطْحِ أزْهَـرَ قَـدْ أبْـلاهُ ذِكْـرَاكِ**

---

(١) نفسه، ص ١٤٠.

(٢) نفسه، ص ٢٤٩.

(٣) نفسه، ص ٢٦٩.

(٤) نفسه، ص ٢١١.

(٥) نفسه، ص ٢١٩.

(٦) ابن الأحنف، ديوان، ص ٥٧.

مَـــا زَالَ بعــــدَكِ مُـــذْ فارقْتِــــهِ دَنِفًـــا يُمْسِي ويُصبِحُ صَـبًّا لَـيْسَ يَنْـساكِ[(١)]

• والهَـــوى قائــــدي إلَيْــــهِ وشَــــوْقِي لَيْسَ بالـشَّوْقِ والهَـوَى لِـي يَـدَانِ

لَـسْتُ أنْـساكِ يَـا ظَلُـومُ وعَهْـدِ الـــْـ م ــــلَّهِ حَتَّـــى أُلَـفَّ فِـي أَكْفَـانِي[(٢)]

واللافتُ في هذه السياقات الإلحاح على معنى البقاء والدوام بأساليب متعدّدة: فناء معنى الهوى بعدهم إلا في أهل الوفاء، المقارنة مع غيرهم من المحبين، تزايد الهوى مع تقادم العهد، النص على نفي الملل وزوال الحال... إلخ، بالإضافة إلى احتواء أكثر المواضع على مؤكدات للمعنى، كالقسم (والله، وعهد الله) ولامِهِ (لكنتُ)، وكقوله: (هواك أقسم، إنّ، قد)، وكذا استعمال الزمن في مقام الاستغراق للوقت والعمر: (ما عِشْنا، ما حَيِيتُ، ما بقيتُ، ما جرت الركابُ مع الركاب، ما زال، مذ فارقته، يمسي ويصبح...)، وكلها أماراتٌ على تمكّن الوفاء من نفسه، وصدق اصطباغ حُبّه به.

٢- الوفاء لها على كل حال من رضا أو غضب منهما، أو وصال أو هجر، وفي كل زمان ومكان وموقف:

وديوانه في العموم ينطق بهذا، إذْ هو لا يحول عن الحديث عنها وإليها وفيها، فقد أنفق شعره كله في الغزل، وكل غزله مقصورٌ عليها، وقد نصّ على أن الوفاء لها شريعته على كل حال من أمرهما:

فُــــؤادي وَعَيْنِـــي حَافِظَــــانِ لِغَيْبِهــــا على كُلِّ حَالٍ مِـنْ رِضَـاءٍ وَمِـنْ عَتْـبِ

كَـــسَانِي الهَـــوَى أَثْوَابَـــهُ إذْ عَلِقْتُهَـــا فَرُحْتُ إلى العُشَّاقِ فـي خِلْعَـةِ الحُـبِّ[(٣)]

وهو هنا يُعيّن محل الوفاء منه، فلا يميل فؤاده عنها، ولا ينصرف بصره إلى سواها، وكلُّ وفاء في غير الفؤاد والبصر تَبَعٌ لهما، فإذا ما حفظهما حفظ ما عداهما بالتبعية، أي أنه بتعيينه لهذين الموضعَيْن منه قد جعل الوفاء منه لها في كماله ومنتهاه، وليس بقاصر على ما ذكر فحسب.

---

(١) نفسه، ص ٢٠٥.

(٢) نفسه، ص ٢٨٢.

(٣) ابن الأحنف، ديوان، ص ٢٦.

ثم إن هذا الوفاء لَيكون منه في كل الأحوال، كحال غياب الاضطرار الذي قد يكون منه أو منها، ومع ذلك فإنّه يظلّ على عهده من الوفاء وحفظ العهد:

أَغِيبُ عَنْكِ بِوُدٍّ لا يُغَيِّرُهُ نَأيُ المَحَلِّ وَلا صَرْفٌ مِنَ الزَّمَنِ

فَإِنْ أعِشْ فَلَعَلَّ الدَّهْرَ يَجْمَعُنَا وإنْ أَمُتْ فَقَتِيلُ الهَمِّ والحَزَنِ[1]

فهذا وفاء دائم لا ينقطع في حال الحضور والغياب على حدٍّ سواء، يمدّ بقاءه أملُ اللقاء، وما يُسعف به الخيالُ من تصوّر ظاهرها كوجهها، كما قال:

وَمَا غَابَ عَنِّي وَجْهُهَا مُذْ رَأَيْتُهَا وَلا مَالَ بِي عَنْهَا إلى غَيْرِهَا قَلْبِي

ولا اختَلَفَتْ حَالَايَ فِي وَصْلِ حَبْلِهَا لِأَقْطَعَهُ في البُعْدِ مِنْهَا وفي القُرْبِ[2]

وثنائية البُعد والقرب/الحضور والغياب تتكرر في أكثر من موضع في ديوانه، فإضافةً إلى ما تقدم يقول في موضعٍ آخر:

سَأَحْفَظُ مَا كَانَ بَيْنِ وَبَيْنَكُمْ وأَرْعَاكُمُ فِي مَشْهَدِي ومَغِيبِي[3]

وثمة ثنائيات أخرى تظهر في هذا السياق، منها ثنائية الهجر والوصال، والهجر قد يكون منه على سبيل المغاضبة وقد يكون اضطرارًا لا اختيارًا حفظًا لسرِّهما، كما تقدم القول فيه في مبحث الكتمان، وهو يقول في هذا المعنى:

بَلَوْتُكِ بِالهِجْرانِ عَمْدًا وإنَّنِي عَلَى العَهْدِ لَمْ أَنْقُضْ ولَمْ أَتَبَدَّلِ

وعَذَّبْتُ قَلْبِي بِالتَجَلُّدِ صَادِيًا إلَيْكِ وإنْ لَمْ يَصفُ لِي مِنْكِ مَنْهَلِي

فَلَمَّا نَقَلْتُ الدّمْعَ مِنْ مُسْتَقَرِّهِ إلى سَاحَةٍ مِنْ خَدِّ حَرَّانَ مُعْوِلِ

وَأَظْلَمَتِ الدُّنْيَا عَلَيَّ بِرَحْبِهَا وَقَلْقَنِي الهِجْرانُ كُلَّ مُقَلْقَلِ

عَتَبْتُ عَلَى نَفْسِي وأَقْبَلْتُ تَائِبًا إلَيْكِ مَتَابَ المُذْنِبِ المُتَنَصِّلِ[4]

(١) نفسه، ص ٢٧٦.

(٢) نفسه، ص ٣٢.

(٣) نفسه، ص ٦.

(٤) ابن الأحنف، ديوان، ص ٢١٤.

والشاهد قوله (على العهد لم أنقض ولم أتبدّل)، فهو وإن استعمل معها الهجران – لِيحملها على الوصل الذي كانت قد قطعته– لَيُلِحُّ على وفائه وبقائه على العهد، فلم ينقضه من أصله، كما لم يبدله بغيره، وتلك سجية الطبع الوفيّ.

ثم إنّ انتفاء قدرته على دوام الهجران هنا –وإن كان باقيًا على الوفاء وقت اختياره إياه– يفضي إلى القول بنوعٍ من الوفاء يحمله على التزامِ سبيلِ الوصال حتى في وقت غضبه منها، وقد نصّ على هذا المعنى في قوله:

وقـدْ كُنـتُ أهْـوى صَـرْمَكُمْ لَـوْ أَطَقْتُـهُ ولكـنَّ قَلْبـي لَـمْ يَجِـدْ مِـنْكُمُ بُـدَّا

أبـى القلـبُ –وَيْـحَ القَلْـبِ– إلّـا صَـبابَةً إلَيْهـا وإلّـا أنْ يُـديمَ لَهـا الـوُدّا[1]

وفي الجملة الاعتراضية (ويح القلب) يتردّد صدى الوجع الكبير حين يجد نفسه عاجزًا عن صرمها، مع رغبته فيه، ولا يكون أمامه إلا متابعة هذا القلب الذي ينزع منزع الوفاء في الحب لها والتشوق إليها.

وهو مذهبٌ سبقه إليه غيره من العذريين الذين حاولوا الخلاص مما هم فيه، لكنهم عجزوا كما عجز:

أُريـدُ لِأنْسَـى وَجْهَهَـا فَكَأنَّمـا تَمَثَّـلُ لِـي لَيْلَـى بِكُـلِّ سَـبِيلِ[2]

على أنّ الهجران قد يكون منها ابتداءً؛ صدودًا ومغاضبة، غير أنّ العباس باقٍ على عهد الوفاء لا يتغير ولا يتبدل، وإن أوجده الهجران:

أَلَسْتَ تَـرَى الـذي أَلْقَـى فَتَرْثِـي لِطُـولِ صَـبَابَتِي وَلِـسُوءِ حَـالِي

وَقَـدْ أَبْـدَتْ لَـكِ العَيْنَـانِ أَنِّـي –علـى طـول النَّـوَى– لَـكِ غَيْـرُ قَـالِ

ولَسْتُ –وإنْ بَـدَأْتِ بِقَطْـعِ حَبْلِـي– عَلَـى حَـالٍ لِوَصْـلِكُمُ بِـسَالِ

تعـالى اللهُ مَـا أَقْـساكِ عَنِّـي كـذلكَ كـلُّ طَلْـقِ القَلْـبِ خَـالِ[3]

---

(١) نفسه، ص ٢٠٣.

(٢) كثير عزة، ديوان، ص ١٠٨.

(٣) ابن الأحنف، ديوان، ص ٢٢٥.

وإن كان الهجران في جملته سببٌ لسوء حاله هنا، إلا أنّ العامل الأكبر للعناء مُتمثِّلٌ في (طول النوى) و(ابتدائها قطع الوصل)، ومع هذا فإنه غير قالٍ لها ولا فارك، بل إنه باقٍ على العهد الذي تعرفه عنه:

وإنِّـــي لَـــأرْعَى غَيْبَهَـــا وأَحُوطُـــهُ وإنْ كنتُ منهـا فـي عَنـاءٍ وفـي كَـرْبِ(١)

ولعل هذا العناء قد جعله يؤمن أحيانًا أنّ الوفاء خصيصة له دونها، بل إنه ليجعلها شاهدًا على هذ الخُلق فيه:

ولقـــدْ بَلَـــوْتِ مَـــوَدَّتِي فَوجَـــدْتني أوْفَـــى وأَحْفَـــظَ فـــي المَغِيـــبِ وأَوْصَـــلَا(٢)

وإنّما نصّ على شهادتها هنا لأنها تكون –في مقام المغاضبة بينهما– كشهادة العدو، فتكون حقًا:

والفَـــضْلُ مَـــا شَـــهِدَتْ بِـــهِ الأَعْـــدَاءُ(٣)

وقد يكون الصدودُ منهما جميعًا، لكنّ نزعة الوفاء وصوت الحب الذي يجلجل في فؤاده يحملانه على تغليب صوت الحكمة، يقول:

العاشِـــقانِ كِلاهُمَـــا مُتَغَـــضِّبٌ وكِلاهُمـــا مُتَـــشَوِّقٌ مُتَطَـــرِّبُ

صَـــدَّتْ مُرَاغِمَـــةً وَصَـــدَّ مُرَاغِمًـــا وكِلاهُمـــا مِمَّـــا يُعَـــالِجُ مُتْعِـــبُ

رَاجِـــعْ أَحِبَّتَـــكَ الـــذِينَ هَجَـــرْتَهُمْ إنَّ المُتَـــيَّمَ قَلَّمـــا يَتَجَنَّـــبُ

إنّ التَجَنُّـــبَ إنْ تَمَكَّـــنَ مِنْكُمَـــا دَبَّ الـــسُلُوُّ لَـــهُ فَعَـــزَّ المَطْلَـــبُ(٤)

وقوله (إن المتيّم قلما يتجنب) هو من جنس الوفاء، كما تقدم، لأنّه يحمله على ترك هجران الحبيب، غير أن اللافت لغة الحكمة التي تمثلت في البيت الأخير، فقد تُحمّل على شيءٍ من التخويف أو التهديد، ولعل ما حرضه على استعماله ما بدا له من تشوقها إليه ومكابدتها مما وقع بينهما من مغاضبة، على ما يفصح عنه أولُ الأبيات وثانيها.

---

(١) نفسه، ص ٣٥.

(٢) نفسه، ص ٢٢٦.

(٣) الرفّاء، ديوان، ص ١٦.

(٤) ابن الأحنف، ديوان، ص ٢٨.

والحكمةُ المذكورة حكمةٌ تُصدّقها التجربةُ؛ إذْ إنّ مَنْ تعمّد الإعراضَ عن شيء والالتهاءَ بغيره أوشك أن يسلوه وينتقل قلبه عنه، ولذلك ذكر ابن القيم في (الداء والدواء)[1] أنّ من دواء العشق: تركَ الاشتغال به.

على أنّ لزوم الوفاء في هذين البُعدَيْن (الحضور والغياب) مُورِثٌ من العناء ما لا يعرفه إلا أهل الهوى:

إذا كُنْتَ لا يُسْلِيكَ عمّن تُحِبُّهُ تَنَاءٍ، ولا يَشْفِيكَ طولُ تَلاقِ

فَمَا أنتَ إلا مُسْتَعِيرٌ حُشاشةً لِمُهْجَةِ نفسٍ آذنتْ بِفِرَاقِ[2]

والعباس يقرّر أن وفاءه على كل حال لفوز مشهودٌ ومعلومٌ بالضرورة لديها، فلئن كان قد فصّل مواضعه وأكثر من ذكره إلا أنه يبقى من نافلة القول وفضوله:

- **وأَشْهَدُ أَنَّكَ بي واثِقٌ وإنْ كُنتَ تُظْهِرُ مَا تُظْهِرُ**

وأنّكَ تَعرِفُني بالوَفَا ءِ وَسَتْرِ الحديثِ ولا تُنْكِرُ[3]

- **فَثِقِي بي فأنْتِ أَعْرَفُ مِنِّي بِحِفاظِي في السِّرِّ والإعْلانِ[4]**

٣- الاشتغال بها وبخيالها الملازم وذكرها الدائم عن كل شيء:

وتلك سجية العشاق الصادقين، وخَلَّةُ الأوفياء المخلصين، فلا يكاد ينفك ذكرُ الأحبة وخيالاتُهم عن أفئدتهم وألسنتهم، وفي هذا المعنى يقول العباس:

أَنْتَ شُغْلُ الفُؤَادِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ لَيْسَ يَخْلُو الفُؤَادُ حَتَّى يَرَاكَا

مَا بَدَا لِي شَخْصٌ، ولا سَمِعَتْ أُذْ نَايَ حِسًّا إلَّا حَسِبْتُكَ ذَاكَا[5]

فهو في شغل دائم بها لا ينقطع حتى تقر عينه برؤيتها، بل إنها لتتراءى له في كل وجه، ويكاد يسمع صوتها مع كل حس، ولا يكاد يفارقه طيفها الذي يلمّ به حين منامه:

خَيَالُكِ حِينَ أَرْقُدُ نُصْبَ عَيْنِي إلَى وَقْتِ انْتِبَاهِي لَا يَزُولُ

---

(١) انظر: ابن قيم الجوزية، الداء والدواء، ص ٥٦٦.

(٢) ابن الأحنف، ديوان، ص ٢٠٣.

(٣) نفسه، ص ١٤٥.

(٤) نفسه، ص ٢٨٢.

(٥) ابن الأحنف، ديوان، ص ٢٠٤.

وَلَـــيْسَ يَزُورُنِـــي صِـــلَةً وَلَكِـــنْ حَـــدِيثُ الـــنَّفْسِ عَنْـــكِ بِـــهِ الوُصُـــولُ[1]

فذكره الدائم لها في نفسه يأتي بخيالها ويجعله يلحّ عليه حتى انتباهه، وقد نَصّ على اشتغاله بذكرها في نفسه وفي فؤاده وعلى لسانه في مواضع كثيرة من ديوانه، وأوجع ما يكون هذا الاشتغال حين يكون في مقام الافتراق:

خَبِّرونـــي عَـــنِ الهَـــوَى أوْ سَـــلُونِي نَـــارُ قَلْبِـــي تَمُـــدُّ مَـــاءَ جُفُـــونِي

تِلْـــكَ نَـــارٌ فِـــي القَلْـــبِ أوْقَـــدَها الحُـــ ـــــبُّ فَبَاحَـــتْ بِالْمُـــضْمَرِ المَكْنُـــونِ

فَقَـــدَتْ عَيْنِـــيَ الحَبِيـــبَ فَمَـــا أخْـــ ـــــوَفِنِي أنْ تَكـــونَ أشْـــقَى العُيُـــونِ

ذِكْـــرُهُ لَـــازِمٌ لِقَلْبِـــي، ولا عَهْـــ ـــــدَ لِعَيْنِـــي بِوَجْهِـــهِ مُنْـــذُ حِـــينِ[2]

وفي سياق آخر ينتظم في موضوع الافتراق نفسه، ويزيد على السالف بكونه جاء هجرانًا منها وصدًّا، يقول العباس:

يُمْـــسِي ويُـــصْبِحُ مُعْرِضًـــا مُتَغَـــضِّبًا وإذا قَـــصَدْتُ إليـــه فهْـــوَ يَحِيـــدُ

وَيَـــضِنُّ عَنِّـــي بِالكَلَـــامِ مُـــصَارِمًا وَبِمُهْجَتِـــي وَبِمَـــا يُرِيـــدُ أجُـــودُ

إنِّـــي أُحَـــاذِرُ صَـــدَّهُ وَفِرَاقَـــهُ إنَّ الفِـــراقَ عَلَـــى المُحِـــبِّ شَـــدِيدُ

يَـــا مَـــنْ دَعَـــانِي ثُـــمَّ أدْبَـــرَ ظَالِمًـــا اِرْجِـــعْ وأنْـــتَ مُواصِـــلٌ مَحْمُـــودُ

إنِّـــي لَـــأُكْثِرُ ذِكْـــرَكُمْ فَكَأَنَّمَـــا بِعُـــرًا لِـــسَانِي ذِكْـــرُكُمْ مَعْقُـــودُ[3]

وتعبيره عن دوام ذكرها بعقد الحبال في العروة دلالة على تمسّك هذا الذكر بلسانه حتى لكأنه عروةٌ عُقِدَ ذكرُها به كما يُعقد الحبل، ومعنى (الوَثَاقَةِ) ظاهرٌ في اختيار (عُرا) و(معقود)، فليس محض اتصالٍ أو تمسكًا مؤقّتًا، بل هو مشدودٌ لا ينقطع ولا ينبتّ، ودليل هذا ورود هذا الاستعمال في القرآن الكريم في سياقٍ هو أعظمُ المقاصد، وهو التوحيد والإسلام، فقال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

(١) نفسه، ص ٢٣١.

(٢) نفسه، ص ٢٦٤.

(٣) نفسه، ص ١٠٤.

(البقرة-٢٥٦)، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (لقمان-٢٢)، ولم يرد هذا الاستعمال في غير هذين الموضعين، وهو فيهما يدلّ على عُلوّ وثاقة هذه الرابطة، وانتفاء انفصامها.

٤- ومن صور الوفاء رعاية المودّة بينهما بتطلّب ما يحفظها من مكاتبةٍ وسلامٍ وزيارةٍ:

يقول:

- **كَتَبْتُ فَأَكْثَرْتُ الكِتَابَ إِلَيكمُ عَلَى رَغْبَةٍ حَتَّى لقَدْ مَلَّ كَاتِبِي**[١]
- **أَزُورُ ولا بُدَّ لِي أنْ أزورَ م إذا كنتُ لا أَسْتَطِيعُ اجْتِنابا**[٢]

فتمسكه بالمكاتبة والإكثار منها، وتعاهد محبوبته بالزيارة وإن كانت مغاضبةً له، كل هذا من دلائل وفائه لها وحرصه على بقاء الودّ موصولا، بل إنّه لَيُحمِّل الرياح سلامه إليها ويسألها أن تحمل إليه سلامها فيقول:

وإنِّي لَأَسْتَهْدِي الرِّيَاحَ سَلَامَكُمْ إذا أَقْبَلَتْ مِنْ نَحْوِكُمْ بِهُبُوبِ

وأسألُها حَمْلَ السَّلامِ إليْكُمُ فإنْ هِيَ يَوْمًا بَلَّغَتْ فَأجِيبِي[٣]

بل إنّها لَتكونُ في صدود عنه وإعراض، فيتجشّم عناء زيارتها على بُعد المزار، ويعد هذا من شأن المحب الحق:

نَزُورُكُمْ لا نُكَافِيكُمْ بِجَفْوَتِكُمْ إنَّ المُحِبَّ إذا لَمْ يُسْتَزَرْ زَارَا

يَسْتَقْرِبُ الدّارَ شَوْقًا وَهْيَ نَازِحَةٌ مَنْ عَالَجَ الشَّوْقَ لَمْ يَسْتَبْعِدِ الدَّارَا[٤]

ويُؤكِّد هذا المعنى في غير موضع، إذْ قلّما يكافئ هجرانها بمثله، بل إنه ليبادر إلى وصالها وفاءً للودّ الذي يجمعهما، وطلبًا لدوام الحب بينهما:

يَا أَغْفَلَ النَّاسِ عَمَّا بِي وأعْلَمَهُمْ بِمَا يُدَاوَى بِهِ حُزْنِي وبَلْبَالِي

---

(١) ابن الأحنف، ديوان، ص ١٦.

(٢) نفسه، ص ٣٠.

(٣) نفسه، ص ٦.

(٤) ابن الأحنف، ديوان، ص ١٢٥.

لَسْنَا وإنْ كنتَ تَجْفُونا وتَقْطَعُنَا بتاركِيكَ عَلَى حَالٍ مِنَ الحَالِ[1]

٥- ادّعاءُ تَجَاهُلِ كلِّ مَنْ يجتهد في صَرْفِهِ عن محبة فوز من الحَسَدَة أو الرقباء أو حتى من الأهل:

وهذا غايةُ اللَّأْوَاء، وفيه من المكابدة ما فيه، وأثرُ ضيقه به واضحٌ في أشعاره، لكنّ سبيله الذي اختاره، أي سبيل الوفاء والثبوت عليه، يقتضي منه هذا الجنس من المكابدة حفاظًا على دوام الصِّلة واستبقاءً للمحبة بينهما، وفي هذا المعنى يقول:

يَا فَوْزُ كَمْ مِنْ ذَوِي ضِغْنٍ رَأَيْتُهُمُ يَنْهَوْنَ عَنْكِ ولكنْ لا يُطاعُونا

وَلَا نُبَالِيهِمُ إذْ قَدْ وَثِقْتِ بِنَا أَيُكْثِرونَ كَلَامًا أَمْ يُقِلُّونَا[2]

وكونهم من (ذوي الضغن) يعني أنهم لا يريدون به خيرًا من هذا النهي عنها، بل ربما كان الحامل لهم الحسد ومحض الإفساد بين العباس وفوز، وقد تحقّق لهم ما يريدون كما يوحي بذلك سياق القصيدة التي أوّلها:

أَظَاعِنُونَ فَنَبْكِي أم مُقيمونا؟ إنَّا لَفِي غَفْلَةٍ عَمَّا تُرِيدُونا

أَنْكَرتُ مِنْ وُدِّكُمْ ما كُنتُ أعْرِفُهُ مَا أنتمُ لي كما كُنتمْ تَكُونُونا[3]

وأكثر السياقات الوارد فيها تجاهلُ اللائمين والرقباء هي سياقاتُ التباعد بينهما إما تهاجرًا أو اضطرارًا، وكأنه بإلحاحه على النص على معنى التجاهل –في مقام افتراقٍ بينهما– يدلُّ على الوفاء لها والدوام على ما تعلمه عنه من الحب والود واتصال الذكر.

وقد يَرِدُ الإلحاحُ أكثر تفصيلًا فلا يذكر محض النهي، بل ينقل نصَّه عنهم:

اِصْرِفْ فُؤَادَكَ يَا عَبَّاسُ مُلْتَفِتًا عَنْهَا وإلَّا فَمُتْ مِنْ حُبِّهَا كَمَدَا

إنِّي لَأَمْنَحُ وُدِّي كُلَّ ذِي ثِقَةٍ صِرْفًا وأَحْفَظُهُ إنْ غَابَ أوْ شَهِدَا

عَصَيْتُ فِيهَا عِبَادَ اللهِ كُلَّهُمُ مَنْ لَامَنِي سَفَهًا أَوْ لَامَنِي رَشَدَا

لَمْ يُفْقَدِ الوُدُّ مِنْ قَلْبِي لِمَفْقَدِهَا لكنَّ قَلْبِي غَدَاةَ البَيْنِ قَدْ فُقِدَا

(١) نفسه، ص ٢٢٣.

(٢) نفسه، ص ٢٥٥.

(٣) نفسه، ص ٢٥٤.

لَـــوْ أَنَّهـــا مِـــنْ وَرَاءِ الـــرُّومِ فِـــي بَلَـــدٍ مَـــا كُنْـــتُ أَسْـــكُنُ إِلَّـــا ذَلِـــكَ البَلَـــدَا[1]

وهذه الأبياتُ أول القصيدة، وكأنّ سبب إنشائها فيما يبدو ما وجده من لومٍ على تعلقه بها على النحو الذي أورثه هذا الكمد بعد ارتحالها عنه، والأبيات من الثاني إلى الأخير كلها في معنى الردّ على هؤلاء وتوكيد ثباته على الود ووفائه لفوز، دون النظر إلى مقصد اللائمين إن كان سفهًا منهم أو نُصحًا صادقًا له.

بل إن هذا اللوم قد يأتي بنتيجة معاكسة لمقصود الباذل له، فينقلب العباسُ إثرهُ إلى حالٍ أسوأ مما كان عليه من الوجد والتهيام بها:

أَلا أَيُّهَـــا النَّـــاهُونَ عَنْهَـــا سَـــفَاهَةً قَدِ ازْدَادَ وَجْدِي مُـذْ نَهَيْـتُمْ فَأَقْـصِرُوا[2]

كما أنّ وشايتهم بها عنده ليحملوه على بُغضها مما زادها قدرًا لديه، ولم يحقِّقوا بُغيتهم مما فعلوا:

مَـــا حَطَّـــكِ الوَاشُـــونَ مِـــنْ رُتْبَـــةٍ عِنْـــدِي وَلَـــا ضَـــرَّكِ مُغْتَـــابُ

كَـــأَنَّهُمْ أَثْنَـــوْا وَلَـــمْ يَعْلَمُـــوا عَلَيْـــكِ عِنـــدِي بالـــذي عَـــابُوا[3]

غير أنّ جُهدهم الدائب -في مراقبة العباس وفوز- يُفضي إلى الضجر من إلحاحهم المستمر، على أنّ كل جهدهم كما هو معلومٌ قد ذهب سُدى فلم يبلغوا مُرادهم من هذا كله.

وتصفّح الديوان يكشف عن شدة إشفاق العباس من أمر الرقباء والوشاة خشية افتضاحِ سرِّه هو وفوز، ولاسيما مع اجتهاده في كتمان حقيقتها، غير أن بعض المواقف وتتابع إلحاح الوشاة واستمرار الرقباء على رقبتهم على الدوام ربما أفضى بالعباس إلى الضيق منهم ومن حاله القائم على الحذر منهم ومحاولة تجنّبهم، وهذا يظهر في بعض أبياته كقوله:

يَلُـــومُ العَـــاذِلونَ علـــى التَّـــصابِي وقَـــد يَهْـــدِي إِلـــى الرُّشْـــدِ النَّـــصِيحُ

أَلَـــا مَـــا لِـــي ولِلرُّقبَـــاءِ مَـــا لِـــي وَمَـــا لَهُـــمُ أَأَسْـــكُتُ أَمْ أَصِـــيحُ[1]

---

(١) ابن الأحنف، ديوان، ص ٨٣.

(٢) نفسه، ص ١٢٣.

(٣) نفسه، ص ٦١.

كما أن الشأنَ يزدادُ صعوبةً إذا ما كان اللومُ آتيًا من جهة الأهل، فلا يمكن بحالٍ أن يُقال لهم (ما لي وما لهم) كما قالها للرقباء والوشاة، فأمْرُ ابنتهم يعنيهم بل هو أمْرُهم، لكنّه في موقف تشوّقٍ وتضجُّر –كما يبدو– ينصّ على وعده لهم باتباع رضاهم إنْ أعادوا إليه قلبه الذي ذهب مع ابنتهم فوز:

يَـا فَـوْزُ أَهْلُـكِ لَـامُونِي فقُلْـتُ لَهُـمْ: أَدُّوا فُـؤَادِي أَدَعْكُـمْ غَيْـرَ مَزْجُـورِ

اللهُ يَعْلَـمُ أنِّـي نَاصِـحٌ لَكُـمُ جُهْـدِي وَلَكِـنَّ سَـعْيِي غَيْـرُ مَـشْكُورِ

يَـا أَهْـلَ فَـوزٍ أَمَـا لِـي عِنْـدَكُمْ فَـرَجٌ وَيْلِـي! ولا رَاحَـةٌ مِـنْ طُـولِ تَعْزِيـرِي

يَـا أَهْـلَ فَـوْزَ ادْفِنُـوني بَـيْنَ دُورِكُـمُ نَفْـسِي الفِـدَاءُ لِتِلْـكَ الـدُّورِ مِـنْ دُورِ[٢]

وهو باتّباعه هذا الأسلوب المنطقي يُقرِّرُ تشبّثه بفوزٍ حتى في هذا المقام، فقد جعل لِقاءَ تركه إيّاها أن يُعيدوا إليه قلبه، وهو أمرٌ متعذِّرٌ عقلًا، فيكون تركه إياها تبَعًا لذلك غير ممكن، وهذا مما يمكن إلحاقه بجنس الوفاء، كون العباس لم يتبع حتى إرادة أهل فوز في مطلبهم بتخليه عنها.

٦- إعلانُهُ المتكرِّر أنه لا يبغي بها بدلا:

وهذا من صور الوفاء، فهو لا يرضى عنها مُتحوَّلًا؛ إذْ ليس عنده لها مِثْلٌ، وهو بها في شُغلٍ عن سواها، وهو معنًى مُتفرِّقٌ في ديوانه، من ذلك قوله:

رَاحَتِـي فِـي الكَلَـامِ حَتَّـى أَرَاكِ إِنَّ بِـي مِنْـكِ شَـاغِلًا عَـنْ سِـوَاكِ[٣]

وعبارته عن الاشتغال بها بقوله (إنّ بي منك شاغلا) تحمل دلالة اختصاص الحكم بها وحدها وذلك بتقديمه ما حقّه التأخير، فلم يقل (إنّ بي شاغلا منك)، وإنما قدم ما يدلّ عليها (منك) قبل الحكم (شاغلا)، على نحو تقديم المفعول في قوله تعالى: ﴿إيّاك نعبد وإياك نستعين﴾ (الفاتحة–٤)، ففي التقديم في هذا المقام إفادةُ قصر العبادة والاستعانة عليه سبحانه دون سواه، وفي بيت العباس إفادةُ قَصْرٍ مُشابهةٌ للقصر في الآية الكريمة

(١) ابن الأحنف، ديوان، ص ٢٥٤.

(٢) نفسه، ص ١١٤.

(٣) ابن الأحنف، ديوان، ص ٢٠٦.

من طريقٍ آخر هو تقديم المتعلِّق (الجار والمجرور) على المتعلَّق به (شاغلا)، والمقصود أنّ اشتغاله كان بها وحدها دون سواها.

وهو في إلحاحه المتكرر على هذه الصورة من الوفاء يستحضر الزمنَ كعادته، فيجعل امتدادَ وفائه بامتداد العمر/الزمن/الدهر...، يقول في بعض شعره:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَصْبَحَ عَهْدُها أَدَامَ عَلَى مَا قَدْ كَانَ أَمْ قَدْ تَغَيَّرَا

فَإِنْ يَكُ مَرُّ الدَّهْرِ غَيَّرَ وُدَّهَا وَأَوْدَى بِهِ طُولُ الزَّمَانِ فَأَدْبَرَا

فَإِنِّي لَبَاقِي الوُدِّ لَا مُتَبَدِّلٌ سِوَاهَا بِهَا حَتَّى أَمُوتَ فَأُقْبَرَا

فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الحُبِّ أَبْلَى لِأَهْلِهِ وَلَا مِثْلَ أَهْلِ العِشْقِ أَشْقَى وأَصْبَرَا[1]

فهو ينصّ هنا على أنه لن يرضى بها بدلًا حتى الوفاة، وإن لم يكن يعلم حالها من بقائها على ما كان بينهما أو تغيّرها بفعل طول العهد، فهو على كل حال ليس له عنها متحوَّل ولا مُتبدَّل.

وفي موضع آخر يقرّ بأنّ البديل موجود، ولكن المشيئة منتفية، فعلى أنه مرغوب الصلة من كثير سوى فوز، غير أنّه لا يريد وصلًا سوى وصلها:

أَمَا والرَّاقِصَاتِ بِكُلِّ فَجٍّ تَؤُمُّ البَيْتَ فِي خَرْقٍ وَوَادِ

لَقَدْ ظَفِرَتْ مَوَدَّتُكُمْ بِقَلْبِي فَحَلَّتْ فِي الشَّغَافِ وفِي الفُؤَادِ

وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ لوَاصَلَتْنِي ذَوَاتُ حِجًى إِلَى وَصْلِي صَوَادِ

عَقَائِلُ مِنْ بَنَاتِ أَبِيكِ صُورٌ إِلَيَّ ذَوَاتُ عَطْفٍ وانْقِيَادِ

فَجِئْتُكُمُ عَلَى ظَمَأٍ لِأَرْوَى فَلَمْ يَكُ عِنْدَكُمْ بَلَلٌ لِصَادِ

وَمَا جَهْلًا تَرَكْتُ البَحْرَ خَلْفِي وجِئْتُكُمُ، إِلَى مَصِّ الثِّمَادِ[2]

(١) نفسه، ص ١٣١.

(٢) ابن الأحنف، ديوان، ص ٧٨، والثماد: الماء القليل الذي ليس له مسايل تمدّه.

واستعمالُهُ الفعلَ (ظفرت) في البيت الثاني دقيقٌ لـمُناسبته السياقَ الذي نصّ فيه على تزاحُمِ النساءِ على طلب القرب منه، وكون قلبه قد اختار واحدةً دون غيرها فكأنّما كان ذلك ظفرًا لمودّتها.

وربما كان في استعمال الفعل (ظفرت) من وجهٍ آخر خفيٍّ دلالةٌ على صراعه المحتدم مع هذه المودّة التي اجتهد في مدافعتها صيانةً لقلبه، غير أن الغلبة والظفر كانا لهذه المودة التي تمكّنت من قلبه تمكُّنًا تامًا.

وقد يجعل العباسُ من علّة الوفاءِ لفوزٍ وحدها الاتفاقَ المنعقد بينهما، ذلك الاتفاق الذي تتجانس فيه الأرواح وتتصل اتصالا صادقًا قد لا يؤدي إلى مثله الاتصالُ بغير مَنْ تتجانس معه:

يقولـــون لَـــوْ أَلْهَمْـــتَ قلبَـــكَ غَيْرَهـــا سَـــلَوْتَ وَلا شَـــيْءٌ سِـــوَاهَا يُوافِقُـــهْ

وَلَـــوْ كُنـــتُ مِمَّـــنْ يَمْـــذُقُ الحُـــبَّ كَاذِبًـــا وَجَـــدْتُ كَثِيـــرًا غيرهـــا مَـــنْ أُمَاذِقُـــهْ[1]

فجعل السبيلَ الوحيدَ إلى إصفاء غيرها بقلبه أن يكون هو ممن لا يُخلصون الودّ لـمَنْ يُحبّون، إذْ إنّ مِنْ دَأْبِ غير المخلصين الاستكثارَ من صِلات الحب مع النساء، وهذا ما لا يَصْدُقُ على العباس الذي أخلص الودّ لفوز وحدها دون سواها فلا موافق لميل قلبه غيرها، وهنا إلماحٌ إلى تعليل نفسيّ لاقتصاره عليها، وهو وجود (الموافقة) التي يتحقّق معها هذا الميل، وهي الـمُسَمَّاة تعارف الأرواح وتآلفها، ومنه قول العرب: "وافق شَنٌّ طبقة"[2] على ما يُذكَرُ من قصة اتفاقهما ثم زواجهما لأجل هذا الاتفاق.

ولذلك يقسم على هذا الاكتفاء في مواضع كثيرة من ديوانه، ويُلحّ عليه بأساليب متعدّدة:

- **وَوَاللهِ مَا فِـي القَلْـبِ مِثْقَـالُ ذَرَّةٍ لِـأُخْرَى سِـوَاهَا؛ إِنَّ قَلْبِـي لَفِـي شُـغْلِ**[3]
- **واللهِ لَـا أَبْغِـي سِـواكِ حَبِيبَـةً مَا اخْـضَرَّ فِـي الـشَّجَرِ المُـوَرِّقِ عُـودُ**[4]
- **مَا لِـأُنْثَى سِـوَى الحَبِيبَـةِ فَـوْزٌ مِـنْ فُـؤَادِي حَـظٌّ وَلَـا تَمْكِـينُ**

(١) نفسه، ص ١١٤. و(مذق الودّ): شابه ولم يخلصه.

(٢) ابن سلام، الأمثال، ص ١٧٧.

(٣) ابن الأحنف، ديوان، ص ٢١٢.

(٤) نفسه، ص ١٠٥.

جَعَــلَ اللهُ كُــلَّ أُنْثَــى فِــدَاهَا مَــعَ أَنَّ الفِــدَا لَهَــا تَهْجِــينُ[1]

واستعماله التعميمَ في قوله (كل أنثى) واردٌ غيرَ مرة في أشعاره، وهو دالّ على أن نفيَهُ سواها من دائرة عاطفته مُستغرقٌ جنس النساء جميعًا:

- كُلُّ أُنْثَــى سِــوَاكِ عِنْــدِي شِــمَالٌ شَــامَتِ المُعْتَــدِي وأنــتِ يَمِــينُ[2]
- سَــأَهْجُرُ كُــلَّ أُنْثَــى بَعْــدَ فَــوْزٍ وَأُنْكِرُهَــا وذَاكَ لَهَــا قَلِيــلُ[3]

والبيت الأخير (سأهجر كل أنثى) قد يفيد بأنّه وَسَّع دائرة نفي النساء من حياته، لتشمل -إلى جانب الميل العاطفي- المعاملةَ في كل صورها، ولعل في قوله (وذاك لها قليل) ما يدلّ على هذا، وذلك لأنّ تَعَذُّر ذلك الهجر التامّ عقلًا قد يجعل المتلقي يعجب لهذا القرار من العباس ويستكثره منه، فكانت هذه الكلمة (وذاك لها قليل) ردًّا على هذا التصوّر.

٧- نفيُ خيانته إيّاها:

وهو من أكثر ما يَرِدُ في أشعاره، ولعل من تفسير كثرة وروده: تباعدَهُمَا أكثرَ الزمان، والتباعدُ بابٌ كبير للظنون، بالإضافة إلى سِعايةِ بعضِ قالة السوء للإيقاع بينهما، وكون العباس من الشخصيات العامة التي تلقى قبولا لدى النساء؛ لما هو عليه من كريمِ السجايا وحُسْنِ الهيئة، فضلا عن ظُرْفِهِ وقوله الشعرَ السائرَ بين الناس وبأصوات أشهر المغنّين.

وظاهر استقراء أشعاره في هذا المعنى أنّ أوّله كان معاهدةً قد انعقدتْ بينهما على الوفاء وحفظ العهد، وفي هذا يقول:

وَلَــوْ شِــئْتُ مِلْــتُ إلَــى غَيْرِهَــا إلَــى مَــنْ يَكُــونُ بِــودِّي ضَــنِينَا

وَلَكِنَّنِــي كُنْــتُ عَاهَــدْتُهَا عَلَــى أَنْ أَدُومَ وأَلَّــا أَخُونَــا[4]

(١) نفسه، ص ٢٦١.

(٢) نفسه، ص ٢٦٠.

(٣) نفسه، ص ٢١١.

(٤) ابن الأحنف، ديوان، ص ٢٧١.

فهو يجعل العهد الذي كان بينهما سببًا لتركه خيانتها مع قدرته عليها، وفي المواضع الأخرى التي تحمل هذا المعنى من ديوانه يذكر سببًا أشدّ قوةً لانصرافه مختارًا عن خيانة فوز مع توفر القدرة لو شاء، وهو حُبّها وهواها الذي يُصوِّره حائلا دون انقياده لأيّ هوًى خلاف هوى فوز:

ولـــولا حُـــبُّكُمْ يـــا فَـــوْزُ دَامَـــتْ لَنَـــا بالحُـــبِّ وَاصِـــلَةٌ بَـــذُولُ

عَمِـــي بَـــصَرِي فَلَـــيْسَ يَـــرَى جَمَالًـــا فَلَـــيْسَ عَلَـــى سِـــوَاكِ لَـــهُ دَلِيـــلُ

لِـــأَنَّ هَـــوَاكِ فِـــي صَـــدْرِي مُقِـــيمٌ أَظُـــنُّ هَـــوَاكِ أَقْـــسَمَ لا يَـــزُولُ

يَظَـــلُّ هَـــوَاكِ مُرْتَهِنًـــا لِقَلْبِـــي وَقَلْبِـــي مِـــنْ جَـــوَى حُـــبٍّ يَحُـــولُ[1]

فمناط العلة هنا كما يُقرر هو حبه لها: (ولولا حبكم، هواك في صدري مقيم، هواك أقسم لا يزول، هواك مرتهنًا لقلبي)، وهو الحب الذي ينفي سواها، ويقطع صلته بغيرها: (... دامت لنا بالحب واصلة بذول، عمي بصري فليس يرى جمالا، فليس على سواك له دليل، وقلبي من جوى حب يحول)، فالأبيات كلها تصبّ في هذين المعنيين: (حبه لفوز وحدها) و(نفي خيانته لها وميلِه إلى سواها).

ويُكرّر ذِكْرَ العلة نفسها أي حبه لفوز، ليجعلها الحائل الدائم لترك خيانته إياها، نحو قوله:

ثِقِـــي بِعَيْنِـــي فَلَـــوْ آنَـــسْتُ مِـــنْ بَـــصَرِي خِيَانَـــةً لَـــكِ لَـــمْ يَـــصْحَبْنِيَ البَـــصَرُ

هَـــوَاكِ سِـــتْرٌ عَلَـــى قَلْبِـــي أَقِيـــكِ بِـــهِ مِـــنْ كُـــلِّ أُنْثَـــى لَهَـــا يُسْتَحْـــسَنُ النَّظَـــرُ[2]

ثم إنّه قد تعرِضُ له الحِسَان فلا يبذل لهن وصالا، ولا يبدو منه تجاههنّ ما يُفهَم منه خيانته لفوز:

أَلا رُبَّ يَـــوْمٍ يَـــا ظَلُـــومُ قَطَعْتُـــهُ بِمُلْهِيَـــةٍ حَـــسْنَاءَ يُعْظِمُهَـــا الـــشَّرْبُ

فَأُقْـــسِمُ مَـــا خَانَتْـــكِ عَيْنِـــي بِنَظْـــرَةٍ إليهـــا، ولا كَفِّـــي، وَلا خَانَـــكِ القَلْـــبُ[3]

(١) نفسه، ص ٢١٩.

(٢) نفسه، ص ١٢٦.

(٣) ابن الأحنف، ديوان، ص ٣٣.

ويظهر هنا إلحاحه على نفي الخيانة على وجه التفصيل، لا الإجمال، فلم يخنها بما ظهر منه (النظر واللمس)، ولا بما بطن (الميل القلبي)، على ما أبداه الذين يغشون مجلس اللهو الذي كان فيه من عنايةٍ بتلك الحسناء!

وربما كان في قوله (يومٍ...قطعته) دلالةٌ على أن تردّده على هذا النوع من المجالس لم يكن طلبًا للهو في ذاته بقدر ما كان هربًا ممّا يقاسيه من تشوّقه إلى فوز، فهو يغشاها لعلها تخفف من وطأة ما يكابده، على أنّه قد ذكر ابنُ المعتز عنه أنه يتعاطى اللهو في ستر وعفة [1].

كما أنّ في اختياره للفظة (يُعظمها) دلالةٌ على شدة حرصه على ألا يخون ولا ينكث بعهده مع فوز، فالتعظيم الذي يدلّ على أن هذه الحسناء قد بلغت الغاية عند مَنْ حضر المجلس قابله العباسُ بتَعَاميهِ عمدًا عنها، وهذا مما يستدعي جهدًا غير يسير منه، غير أنّ حامله عليه هو الوفاء في الحب.

وهذا التعرّض الذي يكون من الحِسَان -مع ما يقابله من مدافعةِ العباس لهنّ- ممّا يُلحّ العباسُ على النصّ عليه في أكثر من موضع، وأكثر ما يأتي في سياق حديثه عن ضنّ فوزٍ وهجرها له، وليس ذلك من قبيل المَنِّ والإدلال عليها بذلك، بل هو غالبًا بغرض إثبات حبه ووفائه لها، وشاهد هذا قوله:

ألا رُبَّ طَالِبَةٍ وَصْلَنَا   أَبَيْنَا عليها الذي تَطْلُبُ

أردْنَا رِضَاكِ بإسْخَاطِهَا   وبُخْلُكِ مِنْ بَذْلِهَا أَطْيَبُ [2]

فالبيت الثاني تعليلٌ صريح مفاده أن المقصود هو رضا فوزٍ وإن كان بسخط غيرها.

ويقول في موضع آخر:

تَضِنُّ إذا اسْتَمْنَحْتُها نَظْرَةً   أُداوِي بِها مَا يُحْدِثُ الحُبُّ فِي صَدْرِي

وَإنِّي لَتَبْدُو لِي الكَوَاعِبُ كالدُّمَى   فَيَحْفَظُ قلبِي غَيْبَهَا وهْيَ لا تَدْرِي

ويَحْجُزُنِي مَنْ لَا أَرَى دُونَ مَا أَرَى   شَهِيدِي عليهِ عَالِمُ السِّرِّ والجَهْرِ [1]

---

(١) انظر: ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص ٢٥٣.

(٢) ابن الأحنف، ديوان، ص ٢٣.

وفي هذا الشاهد يضيف إلى معنى تنكّبه سبيل الخيانة –مع حدّة الداعي إليها– ما يزيد هذا المعنى قوة وصلابة، وهو ما نصّ عليه بقوله (وهي لا تدري)، فحفظ العهد أصدق ما يكون في الغيب منه في الشهادة، وهي دلالةٌ اختار العباسُ إظهارَها في السياق باستدعاء ما يؤازرها: (غيبها/ وهي لا تدري/ من لا أرى/ دون ما أرى/ عالم السر)، فهذه المضمرات عززتْ معنى الوفاء في الغيب؛ إذْ كلها واردةٌ في سياق واحد يغلب عليه معنى الإضمار، وفي اختيار ما يوافق هذا المعنى من الألفاظ حُسنٌ في أداء هذا المعنى، فلم يُسمّ فوزًا (من لا أرى)، ولم يصرّح بذكر ما يرى (دون ما أرى)، واختار من الصفات الإلهية (عالم السر والجهر)، وكلها متلائمة مع السياق نفسه.

ومن الباب نفسه (أي نفي خيانته لها): دفاعه عن نفسه ضدّ ما يلحق به من بهتانٍ سعى به بعض الوشاة والحاسدين، يقول:

لا لَـــوْمَ أَنْ غَـــضِبَتْ عَلَيْـــكَ فَإِنَّهـــا سَـــمِعَتْ لَعَمْـــرُكَ أَعْظَـــمَ البُهْتَـــانِ

زَعَـــمَ الرَّسُـــولُ بِـــأَنَّنِي رَاوَدْتُـــهُ كَـــذَبَ الرَّسُـــولُ، ومُنْـــزِلِ الفُرْقَـــانِ

مَـــا كُنْـــتُ أَجْمَـــعُ خِـــصْلَتَيْنِ: خِيَانَـــةً لَكُـــمُ، وبَيْـــعَ كَرَامَـــةٍ بِهَـــوَانِ[٢]

فعَدُّهُ خيانتها من أعظم البهتان، ورفعُهُ اللومَ عنها حين غضبت عليه لِمَا بلغها عنه، واستعماله ألفاظًا نحو (زعم، كذب)، كلها تفيد توكيد نفي تهمة الخيانة عن نفسه.

كما أنّ في اختياره القسم بـــــ (منزل الفرقان) دلالةً لطيفة، فالفرقان هو الكتاب الكريم، وإنّما سُمّي بذلك لأنّه يُفرَّق به بين الحقّ والباطل، وكأنّ العباس يجعل هذا القسم سبيلا للتمييز بين الحق (براءته من الخيانة) والباطل (اتهامه بالخيانة).

غير أنّ فوزًا قد تعمد إلى إرسال مَن تعرض له من النساء لتمتحن وفاءه لها، وقد أثبتت التجربة صدق وفائه وحفظه لعهدها، وقد قصّ خبر بعض هذه المواقف في شعره:

وَقَـــدْ دَسَّـــتْ إِلَـــيَّ فَتَـــاةَ قَـــوْمٍ فَقَالَـــتْ: أَصْـــفِنِي مَحْـــضَ الوِصَـــالِ

فقلـــتُ لهـــا: إليـــكِ هَـــوَاكِ عَنِّـــي فَـــإِنِّي عَـــنْ هَـــوَاكِ لَـــذُو اشْـــتِغَالِ

---

(١) ابن الأحنف، ديوان، ص ١٢٥، ١٢٦.

(٢) نفسه، ص ٢٦٦، ٢٦٧.

وَمَـــا لِـــي تَوْبَـــةٌ إِنْ خُنْـــتُ فَـــوْزًا وَلَـــمْ تَكُـــنِ الخِيَانَـــةُ مِـــنْ خِـــصَالِي

سَـــأَهْجُرُ طَائِعًـــا فـــي حُـــبِّ فَـــوْزٍ نِـــسَاءَ العَـــالمينَ وَلا أُبَـــالي

إذا ذُكِـــرَ النِّـــساءُ بِحُـــسْنِ حَـــالٍ فَهُـــنَّ لَهَـــا الفِـــدَا فـــي كُـــلِّ حـــالِ[1]

والذي يظهر من تتبّع مواضع نفيه الخيانة عن نفسه في ديوانه أنّ فوزًا كانت تكثر من اتهامه بالخيانة، وتسيء الظنّ به، وهو يجتهد في تبرئة نفسه، من مثل قوله:

زَعَـــمَ الرســـولُ بـــأنّكمْ قُلْـــتُمْ لَـــهُ أَنَّـــا سِـــوَاكُمْ بِالوِصَـــالِ نُحَـــاوِلُ

لا والـــذي سَـــمَكَ الـــسَّماءَ بِقُـــدْرَةٍ مـــا فـــي العِبـــادِ لكـــمْ لَـــدَيَّ مُعَـــادِلُ[2]

وقد يحمل سوءَ ظنّها كتابٌ يأتي منها:

بَعَثَـــتْ إِلَـــيَّ صَـــحِيفَةً مَخْتُومَـــةً نفـــسي الفِـــدَاءُ لِخَطِّهَـــا والكَاتِـــبِ

فَفَكَكْتُهـــا فَقَـــرَأْتُ مَـــا قَـــدْ حَبَّـــرَتْ فـــإذا مَقَالـــةُ مُـــسْتَزِيرٍ عَاتِـــبِ

فـــي الـــودِّ تَـــزْعُمُ أَنَّنِـــي ذُو مَلَّـــةٍ خُنْـــتُ العُهُـــودَ فَـــدَيْتُها مِـــنْ كَـــاذِبِ

أَنَّـــى أَخُونُـــكِ يـــا ظَلُـــومُ وحُـــبُّكُمْ مِنِّـــي بحيـــثُ جَـــرَى شَـــرابُ الـــشَّارِبِ[3]

وإنّ العباس ليجتهد في تبرئة نفسه ونفي تهمة الخيانة عنها حتى إنه لينزع منزعًا غريبًا في سبيل ذلك، فيقول إنّ فوزًا لو أرادتْ أن يفقأ عينيه لئلا تَقَعَا على أحدٍ لَفَعَلَ ذلك ابتغاء مرضاتها، فما تظنّه به من الوقوع في الخيانة مما يُشجيه ويقض مضجعه:

قالت: نَظَـرْتَ إلـى غَيْـري فقلـتُ لَهـا: يَمِـــينَ ذِي قَـــسَمٍ بـــاللهِ مُجْتَهِـــدا

مَـا أَضْـمَرَ القَلْـبُ شَـيْئًا تَغْـضَبِينَ لَـهُ إلّـــا رَفَعْـــتُ إليـــكِ الطَّـــرْفَ مُعْتَمِـــدا

وإنْ هَوَيْـــتِ فَمَـــا عنـــدي مُخَالَفَـــةٌ فَقَـــأْتُ عَيْنِـــيَ حَتَّـــى لا أَرَى أَحَـــدَا

لَقَـــدْ شَـــقِيتُ لَـــئِنْ دُمْنَـــا كَـــذَا أَبَـــدًا إِذَا سَـــعَيْتُ لإِصْـــلاحِ الهَـــوَى فَـــسَدَا

(١) ابن الأحنف، ديوان، ص ٢١٨.

(٢) نفسه، ص ٢٢٠.

(٣) نفسه، ص ٢٧، ٢٨.

مَا تَطْرِفُ العَيْنُ إِلَّـــا وَهْـــيَ وَاكِفَـــةٌ لَوْ كُنْتُ أبكي بِمَـــاءِ البحـــرِ مَـــا نَفِـــدَا
وَلَـــا تَنَفَّـــسْتُ إِلَّـــا ذَاكِـــرًا لَكُـــمُ لا شَـــيْءَ يَـــشْغَلُنِي عَـــنْ ذِكْـــرِكُمْ أَبَـــدَا
كَأَنَّ جَمْرَ الغَـضَا مِمَّـــا ظَنَنْـــتِ بِـــهِ بـــينَ الـــضُّلُوعِ إذا سَـــكَّنْتُهُ وَقَـــدَا[1]

وما استماتته هذه في سبيل نفي الخيانة عن نفسه إلا لأنّ اعتقاد ذلك من مفسدات الهوى بلا ريب، وهو أجلّ ما يخشاه العباس!

وقد مضى القول بأنّ خَلّة الوفاء قد انتظمتْ في مبادئ شريعة الغرام عند العباس بن الأحنف، كما تسميها د. ليلى سعد الدين، وهي تجعلها المبدأ الأول من هذه المبادئ، كون الوفاء مما يندر في كل زمان ومكان، فضلا عن أن يكون في زمان استولت عليه المادة، ومكان عُرف باللهو والمجون، والعباس من هذه الجهة يعدّ "ظاهرة متفرّدة في عصره"[2]، فلم يتنكب هذا السبيل حتى حين اختاره الله إلى جواره في حادثة ترويها بعضُ المصادر، وقد مضى بيانُ طرفٍ منها فيما تقدّم.[3]

وهذا الوفاء المتصل حتى الممات يَعُدّه د.زكي مبارك لونًا ثابتًا من ألوان التماسك الروحي الوثيق الذي ينبع من الوحدانيّة في الحب، وهو ما لا يتيسّر إلا لكبار القلوب، كما يقول.[4]

وبعد، فقد تبين لنا في نهاية هذا البحث عن (الوفاء في شعر العباس بن الأحنف) أنّ الوفاء يأتي في منظومة الفضائل الأخلاقية المعتبرة لدى الفلاسفة المثاليين قديمًا وحديثًا، وهو خُلُقٌ متأصّلٌ في حب العباس لفوز، وأماراتُهُ ظاهرةٌ في شعره، فهو يُعْلِنُهُ بوضوحٍ على كل حالٍ من أمره، كما أنّه بادٍ فيما يقتضيه هذا الخُلُق من رعايةٍ له بحفظ العهد ودوام الودّ حتى انقضاء الحياة، وانتفاء الخيانة لها أو التحول عن حبّها.

---

(١) ابن الأحنف، ديوان، ص ٨٠.

(٢) سعد الدين، العباس بن الأحنف: دراسة مقارنة، ص ١٢٠.

(٣) يُروى في وفاته أنّ جماعةً من أهل البصرة وجدوا العباسَ في طريقهم إلى الحج، وقد أخذ منه الضعف والوهن كلَّ مأخذ بعد أن يئس من فوز، وكان يُردِّد بعضَ شعرِهِ في أمر العشق وما يلاقيه في سبيله حتى فاضت روحه وهو على هذه الحال. (انظر: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٢٧/٤، وانظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٢٦/٣).

(٤) انظر: مبارك، العشاق الثلاثة، ص ١٠.

المصـــــادر:

- ابن الأحنف، العباس، ديوان، ت: عاتكة الخزرجي، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٥٤م.

المـــــراجع:

- أفلاطون:

– المحاورات الكاملة، تر: شوقي داود تمراز، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، ١٩٩٤م.

- البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، ت:محمد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٩٨٩م.
- بسطاويسي، رمضان، جماليات الفنون وفلسفة تاريخ الفن عند هيغل، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- ابن حزم:

– الأخلاق والسير، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.

– طوق الحمامة في الألفة والألاف، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م.

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، ١٩٩٤م.
- ابن داود، الزهرة، ت: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء/الأردن، ط٢، ١٩٨٥م.
- الرفّاء، أبو الحسن السريّ، ديوان، ت: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- سعد الدين، ليلى حسن، العباس بن الأحنف: دراسة مقارنة، مؤسسة الخافقين، دمشق، ط١، ١٩٨٢م.
- ابن سلام، أبو عبيد القاسم، الأمثال، ت:عبدالمجيد قطامش، دار المأمون للتراث، سوريا، ط٣، ١٩٨٠م.
- ابن شداد، عنترة، ديوان، ت: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، دمشق، د.ط، ١٩٦٤م.

- ابن عبدالرحمن، كثيّر، ديوان كثيّر عزة، ت: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ط، ١٩٧١م.
- ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد، الداء والدواء، ت: محمد أجمل الإصلاحي، دار الفوائد، مكة المكرمة، ط٣، د.ت.
- مبارك، زكي، العشاق الثلاثة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.
- المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ.
- ابن المعتز، أبو العباس عبدالله بن محمد، طبقات الشعراء، ت: عبدالستار فراج، دار المعارف، القاهرة، ط٣، د.ت.
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد، مجمع الأمثال، ت: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.